موجز في التفسير

سورة العَلَق

إعداد: سليمان بيضون

*** السورة السادسة والتسعون بترتيب سوَر المُصحف الشريف، وهي أوّل سورة نزلت من القرآن.**
*** سُمّيت بـ«العلَق» لقوله تعالى في الآية الثانية منها: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾.**
*** آياتها تسع عشرة، وهي مكيّة، وفي الحديث النبويّ الشريف أنّ «مَن قرأها فكأنّما قرأ المُفَصَّل كلّه [المُفَصّل: من سورة محمّد صلّى الله عليه وآله إلى آخر القرآن]».**
*** ما يلي موجز في التعريف بهذه السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين)، و(الميزان)، و(الأمثل).**

من أسماء السورة «العلق» و«إقرأ» و«القلم»، وهي من السور العزائم الأربعة: ألم السجدة، وحم فصّلت، والنجم، والعلق. ويقصد بالسور العزائم تلك التي يجب السجود عند آيات سجود التلاوة فيها، أويحرم قراءتها في الصلاة الواجبة، كذلك على الجنب والحائض مطلقاً ولو ببعض آية منها على رأي، أو يحرم قراءة خصوص آيات السجود منها على رأي فقهي آخر.

محتوى السورة

المشهور بين المفسّرين أنّها أوّل ما نزل من القرآن، ومحتواها يؤيّد ذلك أيضاً، وهي تبدأ بأن تأمُر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقراءة. ثمّ تتحدّث عن خِلقة الإنسان بكلّ عظمته من قطعة دم حقيرة.

وفي المرحلة التالية تتحدّث السورة عن تكامل الإنسان في ظلّ لطف الله وكرمه، وعن تعليمه وتمكينه من القلم. ثمّ تتطرّق إلى طغيان الإنسان بالرُّغم من كلّ ما توفّرت له من هبات إلهيّة وإكرام ربّاني. وتُشير بعد ذلك إلى ما ينتظر أولئك الصادّين عن طريق الهداية والمانعين لأعمال الخير من عقاب.

وفي ختام السورة أمر بالسجود والاقتراب من ربّ العالمين.

ثواب تلاوتها

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**من قرأها فكأنّما قرأ المفصّل كلّه**».

* عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من قرأ في يومه أو ليلته (إقرأ باسم ربّك) ثمّ مات في يومه أو ليلته مات شهيداً وبعثه الله شهيداً، وأحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله**».

تفسير آيات منها

قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ الآية:١.

الإمام الباقر عليه السلام: «**نزل جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، يعني خلَق نورَك القديم قبل الأشياء..**».

قوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ الآية:١٧.

لمّا أتى أبو جهل رسولَ الله صلّى الله عليه وآله انتهره رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال أبو جهل: أتنتهرني يا محمّد؟! فوالله لقد علمتَ ما بها أحدٌ أكثرَ نادياً منّي.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ الآية:١٩.

ويجب السجود عند قراءة هذه الآية أو الاستماع إليها من متكلم.

الإمام الرضا عليه السلام: «**أقرب ما يكونُ العبد من الله عزّ وجلّ وهو ساجد، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾**».

الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده: سجدتُ لك يا ربّ تعبّداً ورقّاً لا مُستكبراً عن عبادتك، ولا مستنكفاً، ولا متعظّماً، بل أنا عبدٌ ذليلٌ خائفٌ مستجيرٌ**».

قال المفسّرون

«تفسير الأمثل»: بدأت دعوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باسم الله وذكره ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، واستمرّت حياة الرسول مقرونة في كلّ حال بذكر الله، اقترن الذكر بأنفاسه، بقيامه، بجلوسه، بنومه، بمشيه، بركوبه، بترجّله، بتوقّفه، كان كلّه باسم الله. عندما كان يستيقظ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**».

يقول ابن عباس: بِتُّ ليلة مع النبيّ، وعندما استيقظ رفع رأسه إلى السماء، وتلا الآيات العشر الأخيرة من سورة آل عمران، ثمّ قال: «**اللهمّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهنّ، اللهمّ لك أسلمتُ وبك آمنت، وعليك توكّلت، وإليك أَنَبْتُ**».

حين كان يخرج صلّى الله عليه وآله من البيت يقول: «**بسم الله، توكّلتُ على الله، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أَضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ، أو أَظلِم أو أُظلَمَ، أو أَجهلَ، أو يُجهلَ عليّ**».

وحين يرِد المسجد يقول: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**».

وحين يرتدي لباساً جديداً يقول: «**اللهمّ لك الحمدُ أنت كَسَوتَنيه، أسألك خيرَه وخيرَ ما صُنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صُنع له**».

وحين يعود إلى المنزل يقول: «**الحمد لله الذي كفاني وآواني، والحمد لله الذي أطعمني وسقاني**». وبذلك فإنّ حياة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بكلّ مرافقها كانت مقرونة بذكر الله واسمه الكريم.

«تفسير الميزان»: في قوله ﴿..رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ إشارةٌ إلى قَصْر الربوبية في الله عزّ اسمه، وهو توحيد الربوبية المقتضية لقَصر العبادة فيه، فإنّ المشركين كانوا يقولون: إنّ الله ليس له إلّا الخلق والإيجاد، وأمّا الربوبية وهي الملك والتدبير فلِمقرّبي خَلقه من الملائكة والجنّ والإنس. فدفعه الله بقوله: ﴿رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ الناصّ على أنّ الربوبية والخلق له وحده.

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾، المراد جنس الإنسان المتناسل، والعلَق الدمُ المنجمد. والمراد به ما يستحيل إليه النطفة في الرحم.

ففي الآية إشارةٌ إلى التدبير الإلهيّ الوارد على الإنسان من حين كان علَقة إلى حين يصير إنساناً تامّاً كاملاً له من أعاجيب الصفات والأفعال ما تتحيّر فيه العقول، فلم يتمّ الإنسان إنساناً ولم يكمُل إلّا بتدبير متعاقب منه تعالى، وهو بعينه خَلْقٌ بعد خلق، فهو تعالى ربّ مدبّر لأمر الإنسان بعين أنّه خالقٌ له، فليس للإنسان إلّا أن يتّخذه وحده ربّاً، ففي الكلام احتجاج على توحيد الربوبية.

«تفسير الأمثل»: قوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾: اعلم أنّ أغلب مفاسد العالم مصدرها الفئات المرفّهة والمستكبرة في المجتمع، وهذه الفئات كانت دائماً في مقدّمة أعداء دعوة الأنبياء، وهؤلاء يُطلق عليهم القرآن أحياناً «المَلَأ»، وأحياناً «المُترَفين»، وأحياناً «المستكبرين». ودافِعُ كلّ أولئك إحساسُهم بالاستغناء، وهذه طبيعة أفرادٍ أُفُقُ تفكيرهم ضيّق، تُسكرهم النعمة، ويُزلزل توازنهم المال والمَقام، فيَغطّون في شعور بالاستغناء يُنسيهم ذكرَ الله، بينما نعلم أنّ نسمة من الهواء قادرة على أن تطويَ سجّل أيّامهم، وأنّ حادثة كَسَيل أو زلزال أو صاعقة قادرة على أن تُبيد أموالهم، وأنّ شَرقة بالماء قادرة على أن تخطف أرواحهم.

فهم القرآن ظاهراً وباطناً

فيه تبيانٌ لكلّ شيء وجامع للعلوم والحقائق

العلّامة السيد حسين البروجردي رحمه الله

تفسير «الصراط المستقيم» كتاب من خمسة مجلدات، تأليف العلّامة الفقيه والمفسّر السيد حسين البروجردي، (ت:١٣٤٠)، وهو تفسير لآيات من القرآن الكريم بالمأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، من خلال السعي لاستقصاء الأخبار المتعلّقة بكل آية، والرجوع في توضيح المشكل والمتشابه منها إلى الأخبار والآثار الواردة عنهم عليهم السلام.

الكتاب مرتّب في ١٤ مقدّمة تمهيدية، ثمّ تفسير سورة الفاتحة، وتفسير سورة البقرة إلى آية الكرسي.

ومن مبحث فيه بعنوان «في أنّ القرآن تبيان لكلّ شيء» اقتبسنا هذه المقالة مختصرة عن الأصل.

«شعائر»

العلم التفصيلي بهذا الباب (باب فهم القرآن) لا يحصل إلّا لمن آتاه الله علم الكتاب وفصل الخطاب، وميّز القشر من اللُّباب، وكان واقفاً مقيماً في الكون الكبير على باب الأبواب، لإطلاعه على حقائق الملك والملكوت، وإفاضته على سرادق سلطان الجبروت، ودوام فقره وعبوديته وانقطاعه إلى الحيّ الذي لا يموت، كي يطّلع بعد ذلك بما هنالك من أسرار التشريع والتكوين، وينطبق عنده إشارات التدوين.

وأمّا نحن ومن هو في درجتنا فإنّما آمنّا بذلك من جهة الإيمان بالغيب الذي هو من مراتب الإيمان ودرجات التقوى، وذلك لِما تقرّر عندنا من مساوقة التدوين للتكوين بعد ما استفاضت به الأخبار من أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله قد أشهده الله خلق خلقه، وولّاه ما شاء من أمره، وأنّه صلّى الله عليه وآله، وأهل بيته يعلمون جميع ما في السّماوات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ وما فوقهنّ وما تحتهنّ، كلّ ذلك علم إحاطة، كما ورد في بعض الأخبار ويشهد له الاعتبار، أو علم إخبار كما هو القدر المعلوم من الشريعة.

هذا مضافاً إلى الآيات والأخبار الدالّة على اشتمال القرآن على كلّ شيء من التكوينات والتشريعات، كقوله: ﴿..مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ..﴾ الأنعام:٣٨، وقوله: ﴿..وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس:١٢، بناء على إرادة الكتاب منه، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ النمل:٧٥، وقوله: ﴿..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ..﴾ النحل:٨٩، إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة بنفسها لعمومها في ذلك، سيّما بعد ورود البيان والتفسير لها في الأخبار.

تبيان لكل شيء

فروى العيّاشي في تفسيره عن مولانا الصادق عليه السّلام قال: «**نحن واللهِ نعلم ما في السّماوات، وما في الأرض، وما في الجنة، وما في النار، وما بين ذلك**»، ثمّ قال: «**إنّ ذلك في كتاب الله**»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾».

وفي الكافي عنه عليه السّلام: «**إنّ الله أنزل في القرآن تبيانَ كلّ شيء حتى واللهِ ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبدٌ أن يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن، إلّا وقد**

أنزله الله فيه».

وفيه عنه عليه السّلام: «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصلٌ في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرّجال**».

وعن أبي جعفر عليه السّلام: «**إنّ الله لم يدَع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً**».

وفي (تفسير القمي) وغيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في خبر طويل، وفيه: «**فجاءهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام، وهو ذلك القرآن، فاستنطقوه ولن ينطق لكم أخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحُكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لأخبرتكم عنه لأنّي أعلمكم..**».

وفي (الخرائج) عن عبد الله بن الوليد السمّان قال: قال الباقر عليه السلام: «**يا عبد الله ما تقول في عليّ وموسى وعيسى؟**

قلت: ما عسى أن أقول، قال عليه السّلام: **هو والله أعلم منهما**، ثمّ قال: **ألستم تقولون: إنّ لعليّ ما لرسول الله صلّى الله عليه وآله من العلم؟** قلنا: نعم، والنّاس ينكرون.

قال عليه السّلام: **فخاصِمْهم فيه بقوله تعالى لموسى:** ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ..﴾ الأعراف:١٤٥، **فعلمنا أنّه لم يكتب له الشيء كلّه. وقال لعيسى:** ﴿..وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ..﴾ الزخرف:٦٣، **فعلِمنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه. وقال لمحمّد صلّى الله عليه وآله:** ﴿..وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ..﴾ النحل:٨٩».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، وهي كما ترى ما بين ظاهرة وصريحة في ذلك، والعموم في بعضها كالمشتملة على ما تحتاج إليه الأمّة، وإن كان من جهة الأحكام الشرعية، والأمور التعبدية، إلّا أنّه لا منافاة فيها لما يدلّ عليه غيرها ظهوراً أو صراحة من الشمول للحوادث، والكينونات الدنيوية، والأخروية، ولذا صرّحوا عليهم السّلام بأنّ فيه علم ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجنة، وما في النار إلى غير ذلك ممّا يؤيّد به الآيات المتقدّمة.

في الشبهة والرد عليها

توهّمُ أنّه مشتمل على آيات وألفاظ معدودة متناهية دالّة بوجوه الدلالات العرفية المنحصرة في الثلاث [المطابقة والتضمن والالتزام] فكيف يكون المدلول بها تلك المعاني الكثيرة المشتملة على جميع ما مضى وما يأتي إلى يوم القيامة، بل وبعد القيامة من الأحوال، والأطوار، والأفعال الكثيرة المتجدّدة غير المتناهية الدائمة بدوامه سبحانه، [هذا التوهّم] مدفوعٌ بأنّ قلّة

ما من أمر

يختلف فيه

اثنان إلّا وله

أصلٌ في كتاب

الله، ولكن لا

تبلغه عقول

الرّجال

الألفاظ وتناهيها لا تمنع من كثرة المعاني ولاتناهيها إذا كانت هناك سعة من جهة الدلالة، ألا ترى أنّ الحروف المقطّعة منحصرة في ثمانية وعشرين حرفاً وبها يعبّر من حيث وجوه التركيب وفنون الترتيب عن جميع المعاني والمقاصد التي يقع التعبير عنها بين أهل العالم في محاوراتهم، ومكاتباتهم، وتصانيفهم، فالمعاني لا ريب في لاتناهيها مع أنه يعبَّر عنها بالألفاظ وإن لم يُحِط التعبير إلّا بالمحدود منها.

فإن قلتَ: إنّ وجوه الدلالة محصورة معروفة عند أهل المعرفة باللسان، فلو دلّ القرآن على جميع المعاني والمفاهيم والحقائق والوقايع والحوادث اليومية الجزئية حتى خصوص الحركات الصادرة عن خصوص أفراد الإنسان في جميع الأزمان بل ساير الشؤون والأحوال والأطوار والحركات، والخطرات، والإرادات، والاقتضاءات الواقعة في جميع العوالم من الغيب، والشهادة في الفلكيات والعنصريات، والمركبات المعدنية، والنباتية، والحيوانية لَفهمها أهل اللسان الذين قد أنزل الله تعالى بلسانهم الرسول والقرآن كما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ..﴾ إبراهيم:٤، وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ الشعراء:١٩٣-١٩٥، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ القمر:٢٢، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف:٢، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالّة على ذلك، على أنّ المفسّرين من الخاصّة والعامّة قد تصدّوا لتفسيره، وللفحص عن تنزيله وتأويله فلم يزيدوا على ما دوّنوه من تفاسيرهم مع أنّهم ذكروا كلّ ما قيل من حقّ أو باطل، وأين هذا من كلّ الأحكام التي ذكروا أنّ القرآن لا يستفاد منه إلّا أقل قليل من مجملاتها، ولذا فزعوا إلى العمل بأخبار الآحاد، بل إلى ساير الطرق الظنّية في استنباط الأحكام الشرعية، بل أين هذا من جميع الحقائق التكوينية والحوادث الكونية المتعلّقة بجميع ذرّات العالم مما كان أو يكون إلى يوم القيامة؟

قلتُ: هذا كلّه اجتهاد في مقابل النصوص، وجرأة في الردّ على أهل الخصوص، وقد قال سبحانه: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ..﴾ يونس:٣٩، وذلك أنّك قد سمعتَ منّا أوّلاً أنّ التصديق التفصيلي في هذا الباب غير ممكن لنا، كيف وهو موقوف على تمام العلم والإحاطة بظاهر القرآن وباطنه، وباطن باطنه، وهكذا إلى سبعة بطون أو سبعين بطناً أو أزيد من ذلك.

ثمّ اعلم أنّ ما ذكر في السؤال من حصر وجوه الدلالة فيما هو المعروف عند أهل العُرف ممنوع جدّاً، فإنّ التفاهم بالدلالات الثّلاث إنّما هو للعامّة، وللخواصّ والخصّيصين طرقٌ أخرى لا يجري بها القلم.

قلّة الألفاظ وتناهيها لا تمنع من كثرة المعاني ولاتناهيها إذا كانت هناك سعة من جهة الدلالة